قضيَّة المرأة في كتابات المفكِّر عبدالرزاق قسوم.

الدُّكتور لزهر فارس.
أستاذ محاضر "أ" جامعة تبسَّة.

ملخَّص البحث:

للمفكِّر عبد الرزاق قسوم فلسفة محدَّدة في قضية المرأة؛ وينبني هذا الموقف الفكريُّ والعمليُّ من قضية المرأة– من خلال ما يظهر من حواراته وكتاباته[1] جملةً– على ثمانية مبادئ كبرى هي كالآتي: أوَّلا: المرأة شقيقة الرجل، هما من نفْس واحدة، وليست عدوا له. ثانيا: المرأة تنال الحياة السعيدة بالإيمان والعمل الصالح، شأنها في هذا شأن الرجل تمامًا. ثالثًا: تستطيع المرأة أن تمتلك كفاءة في العلم والثقافة والاجتماع، قد تؤهلها للتفوُّق على الرجل في هذه الميادين، وليست ناقصة عقل لتعجز عن ذلك. رابعًا: للمرأة طبيعة أنثوية وبدنيَّة مخصوصة تختلف عن طبيعة الذكورة عند الرجل، وهذا أمر فطري، وجب تكريسه والاعتراف به. خامسًا: أفضل الأعمال التي تتناسب مع الطبيعة الأنثوية والبدنية للمرأة أعمال الأمومة والعشرة الزوجية. سادسًا: مجال المنافسة على البر والتقوى مفتوح أمام المرأة في إطار الثوابت الإسلامية، وليست أنوثتها سُبَّة عليها، بل هي حكمة الله في الخلق. سابعًا: للمرأة حرِّية الحركة والنشاط، بضوابط الدين، وأبرزها عدم إثارة الفتنة، بالقول أو الفعل. ثامنًا: لا مانع من اشتغال المرأة بالسياسة، وتمثيل جمهرة النساء في المجالس الرسمية السياسية، شريطة أن تكون على دراية بهذه المهمة؛ لتتقن أداءها. هذا، وستتولَّى المداخلة تفصيل كلِّ مبدإ على حدة، مستحضرة شواهده من كتابات وحوارات المفكر الجليل عبدالرزاق قسوم، رجل المبادئ، الذي نصح يومًا الشَّباب الجزائريَّ– ذكورًا وإناثًا– بقوله: كونوا "مع مبادئ جمعية العلماء؛ لأنَّ قسوم يزول والجزائر باقية."[2]

تقديم في مسألة البحث:

مسألة البحث– هنا– هي المرأة، والتصوُّرات المتعلِّقة بها في فكر الدكتور عبدالرزاق قسوم. إنَّ المرأة التي تحدَّث عنها مفكِّرنا قسوم– تصريحا أو تضمينا– "هي الأمُّ التي جعل الإسلام الجنَّة تحت قدميها، وهي الزَّوجة ما أكرمها إلاَّ كريم وما أهانها إلا لئيم، وهي البنت مَن أدَّبها فأحسن تأديبها وعلَّمها فأحسن تعليمها كانت له حجاباً من النَّار، وهي الأخت والعمَّة والخالة التي جاءت النُّصوص الشَّرعيَّة بضرورة الإحسان إليهنَّ، فمن وَصَلَهُنَّ وصله الله ومَن قطعهنَّ قطعه الله،"[3] ولا عجب أن يتبنى فيلسوفنا قسوم هذا التصوُّر الإسلاميَّ الواسع لشخص المرأة، لأنَّه رجل متديِّن بطبعه، نشأة، وتكوُّنا، وثقافةً.

ولفظة المرأة في كتابات قسوم– من زاوية لغويَّة– تشمل المرأة الشَّابة والمسنَّة، وتشمل البكر والثَّيِّب على حدٍّ سواء؛ أي "أنَّ لفظ المرأة يُطْلق على البنت البكر، وكذلك على المرأة المتزوجة،"[4] والرَّجل دقيقة لغته، فصيح لسانه، يختار المفردة عن علم وبيِّنة؛ فشاهد هذا المعنى اللغويَّ للفظة (امرأة) قوله سبحانه وتعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ)[5] ثمَّ استمرَّ القصُّ القرآنيُّ إلى قوله– عزَّ وجلَّ: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ)[6] فسمَّى القرآن الشَّابتين غير المتزوجتين امرأتين، بالتَّثنية، والإفراد: امرأة.

المبدأ الأوَّل: المرأة شقيقة الرجل، هما من نَفْس واحدة، وليستْ عدوًا له:

استضاف المركز الجامعي بغرداية المفكِّر قسوم؛ بمناسبة الملتقى الوطني الأوَّل حول: جهاد وفكر الشيخ اطفيّش امحمد بن يوسف (قطب الأئمة) وعلى هامش الملتقى أُجرى معه حوار، كان من بين أسئلته: ما موقف جمعية العلماء من مسألة التَّمثيل النسويِّ في المجالس المنتخبة، والتي أثارت جدلا في الجزائر؟ فأجاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين "الدكتور قسوم: نحن نعتقد أن المرأة هي شقيقة الرجل، ولا يمكن أن نحدِّد نسبة التَّمثيل النسويِّ"[7]. إنه يرى أنَّ المرأة تجمعها بالرجل علاقة أخوَّة، وتقارب، وائتلاف، وتعاون... إنها بكلمة بليغة موجزة شقيقة الرَّجل؛ أمُّهما حوَّاء، وأبوهما آدم– عليه السَّلام.

ويعتقد فيلسوفنا قسوم أنَّ هذه القيمة العقليَّة، المعنويَّة، الإنسانية، التي حظيت بها المرأة في دين الإسلام؛ كونها شقيقة الرَّجل، وليدة ثقافة هذه الأمَّة العربية المسلمة دون غيرها، ولم تستوردها من الغرب إطلاقا، مها تعالت أصوات (الحركات النسوية) المعاصرة في الدَّعوة إلى هذا المبدأ العظيم؛ "ولذلك فإنَّ القيم العقليَّة، والمعنويَّة لا يمكن استيرادها، كقطع الغيار، لأنَّها ذات خصوصيات إنسانيَّة

حضاريَّة محلِّيَّة، وبالتالي تصبح الدَّعوة إلى استيراد مفاهيم وقيم من الغرب، إلى البيئة الإسلاميَّة، بمثابة وضع قبعة على رأس إنسان معمَّم، أو امرأة محجَّبة، وهو ما يمثل أضحوكة كبرى."[8] فالمرأة شقيقة الرجل؛ مبدأ إسلامي عريق متجذِّر في هذا الدِّين منذ نزول الوحي.

المبدأ الثَّاني: المرأة تنال الحياة السعيدة بالإيمان والعمل الصَّالح، شأنها في هذا شأن الرَّجل تمامًا:

مرَّة أخرى يعود المفكِّر قسوم إلى المنهل العذب، القرآن الكريم ليستوحي منه مبدأً آخر في قضية المرأة، ألا وهو كسبها للحياة الطَّيِّبة- التي قد تصعب على الرجال- بعاملين: أوَّلهما: الإيمان، والآخر: العمل الصالح؛ "لأنَّ الإسلام وضع على قدم المساواة المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)[9]"[10] وقدرة المفكر قسوم على استحضار الشاهد القرآني الدقيق المناسب للقضية التي يتحدَّث فيها، أمر يحتاج التَّنويه، والإشادة؛ لأنَّ فيه دلالة واضحة على التَّمسُّك بكتاب الله- عزَّوجلَّ- وقدرة لغوية وفكرية فائقة.

ومعنى هذا أن المفكِّر قسوم- رغم حبِّه للعربيَّة- لم يجر مجرى كثير من الشعراء والناثرين العرب، الذين ربطوا بين المرأة والمرض، فلم تكن توحي لهم بالسعادة والحياة الطَّيِّبة بقدر ما توحي لهم بالتعاسة والضَّعف، نذكر من الشِّعر قول المتنبِّي في الحُمَّى اللَّيليَّة وهي تغادره صباحاً:

كَأَنَّ الصُّبحَ يَطرُدُها فَتَجرِي***مَدامِعُهَا بِأَربَعَةٍ سِجَامِ[11].

إنَّ البيت مزج الإنسان بالطَّبيعة، فصار الصُّبح شخصاً يَطرد الحُمَّى، والحُمَّى بدورها صارت امرأة باكية هطَّالة الدُّموع. ومن النَّثر نذكر صورة لجبران خليل جبران؛ يصف فيها امرأة مريضةً طريحة الفراش قائلاً: "فاهتزَّت على مضجعها مثل القضبان العاريَّة أمام رياح الشِّتاء"[12]، إنَّ عناصر هذه الصُّورة مخصوصة ومحدَّدة جدًّا؛ فالقضبان مقيَّدة بصفة العُري، والرِّياح مقيَّدة بإضافة الشِّتاء إليها، ممَّا جعل هذا المقطع لجبران يوحي بصورة سلبية ظلاميَّة للمرأة، لا تُرْضِي أديبنا قسوم، بأيِّة حال مِن الأحوال.

المبدأ الثَّالث: تستطيع المرأة أن تمتلك كفاءة في العلم والثقافة والاجتماع، قد تؤهلها للتفوُّق على الرجل في هذه الميادين، وليست ناقصة عقل لتعجز عن ذلك:

هذا المبدأ عند مفكِّرنا قسوم يقوم على ركيزة فكرية وإدارية أخرى؛ ألا وهي: لا تمييز بين عامل وآخر، إلا بمقدار الكفاءة في أداء العمل، ولا يهم أن يكون العامل امرأةً أو رجلاً؛ وفي هذا

الصَّدد يتنزَّل قول العالِم قسوم: "إذا كانت هناك كفاءات عند النِّسوة تؤهِّلهنَّ لأن يتبوَّأن مكانة علميَّة أو ثقافيَّة أو اجتماعيَّة، نحن لا نحصي عليها، ونقول لها (ينبغي أن تقفي عند 30 بالمائة أو عند50 بالمائة) فإذا كانت طبيعتها لا تؤهِّلها لنسبة معيَّنة فلماذا ألزمها بـ 30 بالمائة؟"[13] إذن، الصَّواب أن نترك مجال تكوين الكفاءة مفتوحًا أمام المرأة والرَّجل، وأيهما كسب كفاءة أكثر في الأداء، يكون أولى بهذا العمل دون ذاك.

ويحمل المفكِّر قسوم مبدأ الأولوية للكفاءة في العمل، من مجال العلاقات الإجتماعية بين الرجل والمرأة إلى مجال العلاقات الدولية، فها هو يتوجَّه إلى حكومة دولة تركيا بالنُّصح قائلا: "إن عليهم أن يعيدوا امتلاك شروط القابلية للتَّسيير، واكتساب الاستعداد لذهنيَّة الإدارة، ومنصب المدير، فمِن مقوِّمات الإدارة أن تتعامل بميزان الكفاءة، والالتزام مع مَن نكره ومَن نُحبُّ؟ وأن تحاول الاستفادة ممَّن يملك القدرة على تقديم النَّفع العام، للصَّالح العام من الذي لا تحبُّه، وإنَّما يأسف على الحبِّ النِّساء كما تقول أدبيَّاتنا الإسلاميَّة."[14] لما في المرأة مِن نزعة عاطفيَّة؛ تجعل الحبَّ والكره يحفران في وجدانها، ويظهران في سلوكياتها بسرعة.

المبدأ الرَّابع: <u>للمرأة طبيعة أنثوية وبدنيَّة مخصوصة تختلف عن طبيعة الذكورة عند الرجل، وهذا أمر فطري، وجب تكريسه والاعتراف به:</u>

ليس الذَّكر كالأنثى، نعم صدق ربُّنا- عزَّ وجلَّ- حين قال: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ)[15] للمرأة طبيعة أنثويَّة مخصوصة، من رقَّة في العاطفة، وحبٍّ حاد للطَّرب، وتأثُّر سريع بالجمال... ولها طبيعة بدنيَّة مخصوصة، كوجود الحوض، والرَّحم، والأثداء... إن هذه الطَّبائع التي فُطرت عليها المرأة؛ أخذها مفكِّرنا قسوم بعين الاعتبار حين قال: "وبالتالي نحن مع إعطاء المرأة حقوقها، وما يتناسب وطبيعة أنوثتها،"[16]

ومن أنوثتها حبُّ الجمال، فلا يحق للرَّجل المسلم أن يحرمها مِن ذلك؛ ويحجب عنها الصور والرُّسوم إذا لم تتخذها لغرض الشِّرك، وهذا هو الرَّأي الفقهي الذي تبنَّاه عالِمنا قسوم؛ "فعندما نستقرئ القطع الأثرية في المجتمع الإسلاميِّ، نكتشف البعد الجماليَّ في بعض الصُّور التَّشبيهيَّة المرسومة على السُّيوف، التي هي مِن خصوصيات المجتمع المسلم، فنجد صورة علي بن أبي طالب [كرَّم الله وجهه] منقوشة على سيف عضد الدَّولة. كما نجد رسومًا وصورًا عديدة في المخطوطات الإسلاميَّة،"[17] لاسيَّما مخطوطات الجغرافيا، وعلم الفلك, والطبِّ؛ إذ تزدان كلَّ هذه المخطوطات الإسلامية بالصُّور والرُّسوم.

وإذا كانت طبيعة الأنثى اللَّطيفة تقتضي مِن الرجل تقدير جمالها ولينها، فإنَّ طبيعة الرجل الشَّديدة تقتضي من المرأة تقدير خشونته وقوَّته. ورد عن الزَّمخشري: امرأة شعراء: طويلة الشَّعر، ورجل أشعرُ الرَّقَبَةِ: شديد القوَّة، يُشَبَّهُ بالأسد.[18] فالمرأة– بطبيعتها– ترغب في الرجل القويِّ، وتنفر من الضَّعيف. والرَّجل– بطبيعته– ينفر من المرأة الوعرة، ويرغب في اللَّطيفة.

المبدأ الخامس: أفضل الأعمال التي تتناسب مع الطَّبيعة الأنثويَّة والبدنيَّة للمرأة أعمال الأمومة والعشرة الزوجيَّة:

هذا المبدأ يدعم المبدأ السَّابق، ويكمِّله؛ "وبالتالي نحن [كما يقول قسوم] مع إعطاء المرأة حقوقها، وما يتناسب وطبيعة أنوثتها، ومع طبيعتها كأمٍّ وزوجة، ومع طبيعتها البدنيَّة، ومع بيئتها الاجتماعية،"[19] وفي هذا القول تلميح من قِبل المفكِّر قسوم، مفادة أنَّ أفضل الأعمال التي تتناسب مع الطبيعة الأنثوية والبدنية للمرأة أعمال الأمومة والعشرة الزوجية.

نعم، إن وظيفة الأمومة، من حمل ووضع ورضاعة... مسؤوليَّة جليلة، جعلها الله– عزَّ وجلَّ– مخصوصة بالمرأة دون الرَّجل، قال سبحانه وتعالى: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ)[20] فلا يحمل الرجل، ولا يرضع، وإن العشرة الزوجيَّة الطَّيِّبة، كالطبخ الحسن، والتزيُّن اللائق، والمودَّة الصَّادقة، والطَّاعة الخيِّرة... لا تستطيعها إلا أفاضل النساء، وهي من أجلِّ النِّعم التي يحظى بها الرَّجل. قال– صلَّى الله عليه وسلَّم– "مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا، وَمَالِهِ"**[21]**.

هكذا يظهر أن المفكِّر قسُّوم، ما نحى ذلك المنحى، وما قال بذلك المبدأ: أفضل الأعمال للمرأة أعمال الأمومة والعشرة الزوجية، إلا وهو يستند إلى ركن ركين، هو الشَّواهد القرآنية الكريمة، والأحاديث النبويَّة السَّالمة من الوضع والضَّعف.

المبدأ السَّادس: مجال المنافسة على البرِّ والتَّقوى مفتوح أمام المرأة في إطار الثَّوابت الإسلاميَّة، وليست أنوثتها سُبَّة عليها، بل هي حكمة الله في الخلق:

درَّس الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم أجيالا من الطَّلبة، وأشرف على العديد من الرسائل العلميَّة[22]، وكان لا يرى غضاضة في التَّنافس الشَّريف بين الطَّالبات والطَّلبة– على قلَّة عدد هؤلاء– بل يصرِّح بذلك قائلا: "إذا كانت هناك منافسة فلتكن، نحن نقول بأن الجامعة الآن أصبحت النسبة الغالبية فيها بنات، وهنَّ ناجحات، هل آتي لمعاقبة البنت على الولد؟"[23] إن المفكِّر قسوم لا

يرى غضاضة في التنافس بين المرأة والرَّجل، طالما أنه في إطار الثوابت الإسلاميَّة، ومن أهمِّها مشروعية العمل المتنافس حوله، وتكافؤ الفرص في بين المتنافسين.

ولذلك دعا النَّبيُّ– صلَّى الله عليه وسلَّم– إلى العدل بين الأولاد: الذُّكور والإناث، ودعا إلى المحافظة على حياة الإناث، ودعا أيضا إلى إكرامهنَّ. وبشَّر مَن فعل هذه الأمور الثلاثة بالجنَّة، مصداقا لقوله– صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا, وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا"، قَالَ: يَعْنِي الذُّكُورَ "أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ"[24] وإن من عدم إيثار الولد الذَّكر على البنت، ترك المنافسة على البِرِّ والتَّقوى مفتوحة أمامهما في إطار الثوابت الإسلاميَّة، ولا نعتبر أنوثة البنت سُبَّة عليها، بل هي حكمة الله في الخلق (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[25].

ونستطيع أن نواصل استشفاف سندات الدكتور قسوم في تبنِّي هذا المبدأ الخيِّر: مشروعيَّة المنافسة على البِرِّ والتَّقوى بين الرجل والمرأة حين نعود إلى كتب التَّفسير، ومنها صفو التَّفاسير للصَّابوني، فقد ورد فيه قوله: "عن أمِّ سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النِّساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى) كما جاء في تفسير الآية السابقة... أي أجاب الله دعاءهم بقوله: إني لا أُبطل عَمَلَ مَنْ عَملَ خيراً، ذكراً كان العامل أو أُنثى، قال الحسن: ما زالوا يقولون: ربنا، ربنا، حتى استجاب لهم (بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) أي الذَّكر من الأنثى، والأنثى من الذَّكر، فإن كنتم مشتركين في الأصل فكذلك أنتم مشتركون في الأجر"[26]. هكذا يرى المفكِّر قسوم المرأة مخلوق متكامل، لا يقلُّ عن الرَّجل تكاملاً، يستطيع أن ينافس، ويجتهد، ويبذل، ويعطي، ولا أدلَّ على ذلك من خرِّيجات بارعات من مختلف جامعات الجزائر.

المبدأ السَّابع: <u>للمرأة حرِّية الحركة والنَّشاط، بضوابط الدِّين، وأبرزها عدم إثارة الفتنة، بالقول أو الفعل:</u>

المرأة في الأصل مخلوق حرٌّ مستقلُّ الكيان والشِّخصية عن الرَّجل، طاقاتها لا نستطيع التَّنبُّؤ بها، وحصرها في نسبة معيَّنة مقارنة بطاقات الرَّجل، كأن نقول: طاقة المرأة 30% أو 50% نسبة إلى طاقة الرَّجل، هكذا تصوَّر المفكِّر قسوم قدرة المرأة على الحركة والنشاط؛ فصرَّح قائلا: "أنا لست مِن دعاة أنَّنا نسجنها داخل نسبة معيَّنة، ولكن أفسح لها المجال في نطاق ثوابتنا وقيمنا ومبادئنا،"[27] نعم، إنَّه مبدأ سليم؛ للمرأة حرِّية الحركة والنَّشاط، بضوابط الدِّين، وأبرزها عدم إثارة الفتنة، بالقول أو الفعل.

للمرأة– في تصوُّر قسوم– أن تعمل، وتشتغل، وتكدَّ، وتكدح مثل الرَّجل، بشرط مراعاة التستُّر والتحجُّب... مِن حيث الفعل، والاستقامة في الحديث، والاستواء في المنطق... من حيث القول؛ لألاَّ تثير غرائز الرِّجال، ولألاَّ تحرِّك شهواتهم.

ويشاطر المفكِّرُ قسوم المفكِّرَ مولود قاسم هذا المبدأ، وهو حرِّية المرأة في الحركة والنَّشاط بضوابط الدِّين؛ حيث "لم يفت المؤلِّف [مولود قاسم] أن يعرِّج على قضيَّة المرأة، التي عادة ما تثار في وجه الإسلام، إذ يُتَّهم بانتقاصه من قيمتها، ويؤكِّد [مولود قاسم] أنَّ أحكام الإسلام كلَّها إنَّما جاءت ترفع مِن شأن المرأة وتُعلي مِن قيمتها، وتفسح المجالات المختلفة أمامها، إلاَّ ما يتعارض مع طبيعتها وفطرتها."[28] ودين الإسلام كلُّه فطرة سويَّة (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)[29].

المبدأ الثَّامن: لا مانع من اشتغال المرأة بالسِّياسة، وتمثيل جمهرة النِّساء في المجالس الرَّسميَّة السِّياسية، شريطة أن تكون على دراية بهذه المهمَّة؛ لتتقن أداءها:

المفكِّر قسوم في معترك السياسة، لا يرى حرجًا في دخول المرأة هذا المعترك؛ شريطة أن تمتلك فنَّ السياسة، وتستطيع أن تدير مسؤوليتها فيه بمهارة وإتقان، فالكفاءة عنده ضرورة لا بدَّ منها للمرأة والرَّجل على حدٍّ سواء– كما سلف الذكر– إذن، لا حضر عند فيلسوفنا لتولِّي المرأة مناصب سياسية، فهو يفسح السَّاحة أمامها، "ولكن أُفسح لها المجال في نطاق ثوابتنا وقيمنا ومبادئنا، فإذا تأهَّلت في هذا النِّطاق لأيِّ منصب، تتولاَّه دون أيَّة مشكلة."[30] إنَّ هذه الجملة الشَّرطية الأخيرة لفيلسوفنا تضع كفاءة المرأة للمنصب السياسيِّ شرطًا، وتولِّيها هذا المنصب جواب الشَّرط، فيدور جواب الشَّرط (المسؤولية) على الشَّرط (الكفاءة) وجودًا وعدمًا.

وهذا المبدأ عند كاتبنا قسوم، وهو جواز اشتغال المرأة بالسِّياسة بضوابط القيم والكفاءة، لا مغالاة فيه، بل يمثِّل وسطيَّة الإسلام؛ لأنَّه بين رأيين: متشدِّد، ومهوِّن؛ فالمتشدِّدون يحرِّمون اشتغال المرأة بالسياسة مهما كان شأنها ولونها، والمهوِّنون يرون جواز اشتغال المرأة بالسياسة دون قيد أو شرط. وفي هذا السياق لا بأس مِن القول: إنَّ المفكِّر المصريَّ المعاصر جمال البنَّا "يرى أنَّ المرأة أحقُّ بالإمامة مِن الرِّجال إذا كانت أعلم بالقرآن، كما يرى أنَّ الحجاب ليس فرضًا على المرأة خاصَّة في الغرب، كما يذكر جمال البنَّا بأنَّه لا يجوز للرَّجل أن يطلِّق زوجته منفردًا، وذلك كونه تزوَّج منها بصفة رضائيَّة؛ وبالتَّالي يوجب الطَّلاق رضا الطَّرفين واتفاقهما؛ لكي يتمَّ الانفصال بينهما،"[31] ومهما كان من شأن هذا التَّساهل مِن المفكِّر جمال البنَّا، فإنَّ عالِمنا قسوم؛ لا ينحو هذا

المنحى المتساهل، بل هو وسط في أغلب آرائه في مسائل المرأة، ومنها مسألة المرأة والسياسة على وجه الخصوص.

خاتمة:

الآن، عَوْدٌ على بدْء؛ للمفكِّر الجزائريِّ المعاصر عبد الرزاق قسُّوم فلسفة محدَّدة في قضية المرأة؛ وينبني هذا الموقف الفكريُّ والعمليُّ من قضية المرأة- مِن خلال ما يظهر من حواراته وكتاباته جملةً- على ثمانية مبادئ كبرى هي كالآتي: أوَّلاً: المرأة شقيقة الرجل، هما من نفْس واحدة، وليست عدوا له. ثانيًا: المرأة تنال الحياة السَّعيدة بالإيمان والعمل الصَّالح، شأنها في هذا شأن الرَّجل تمامًا. ثالثًا: تستطيع المرأة أن تمتلك كفاءة في العلم والثَّقافة والاجتماع، قد تؤهِّلها للتَّفوُّق على الرَّجل في هذه الميادين، وليست ناقصة عقل لتعجز عن ذلك. رابعًا: للمرأة طبيعة أنثويَّة وبدنيَّة مخصوصة تختلف عن طبيعة الذُّكورة عند الرَّجل، وهذا أمر فطريٌّ، وجب تكريسه والاعتراف به. خامسًا: أفضل الأعمال التي تتناسب مع الطَّبيعة الأنثويَّة والبدنيَّة للمرأة أعمال الأمومة والعشرة الزَّوجيَّة. سادسًا: مجال المنافسة على البِرِّ والتَّقوى مفتوح أمام المرأة في إطار الثَّوابت الإسلاميَّة، وليست أنوثتها سُبَّة عليها، بل هي حكمة الله في الخلق. سابعًا: للمرأة حرِّية الحركة والنَّشاط، بضوابط الدِّين، وأبرزها عدم إثارة الفتنة، بالقول أو الفعل. ثامنًا: لا مانع من اشتغال المرأة بالسِّياسة، وتمثيل جمهرة النِّساء في المجالس الرَّسميَّة السِّياسية، شريطة أن تكون على دراية بهذه المهمة؛ لتتقن أداءها.

وبعد، تلك هي المبادئ الثَّمانية في قضية المرأة، التي اندست في كتابات المفكِّر الجزائريِّ المعاصر عبد الرزاق قسُّوم هنا وهناك، وهي في عمومها تجمع بين فقهين هامَّين، هما: فقه الكتاب وفقه الواقع، فالقرآن- عند قسُّوم- ليس بمعزل عن الواقع، والواقع ليس بمعزل عن القرآن؛ لأنَّ القرآن كتاب هداية على مرِّ الأزمان، وتعاقب الوقائع. نعم، لم يكن المفكِّر قسُّوم مثاليًّا مجرِّدًا، كالشَّاعر العربيِّ القديم؛ حيث إنَّ "الشَّاعر العربيّ إذا وصف ناقته أو جواده وإذا تغزَّل في عبلة أو في ليلى... إنَّما يصف ما يراه المَثَلَ الأعلى للجواد أو النَّاقة أو للمرأة؛ لأنَّه في عمق أعماقه متعلِّق بالمثال المجرَّد، لا بالمثل الجزئيِّ،"[32] إنَّ كاتبنا قسوم يحاول دائما ألاَّ يكون مثاليًّا مجرِّدًا، وألاَّ يكون واقعيًّا مسرفًا، بل يحاول دائما أن يكون وسطيًّا معتدلاً، وأنعم به من فكر، وحصافة رأي، وصدق حين وجَّهنا يومًا- نساءً ورجالاً- قائلا: كونوا "مع مبادئ جمعيَّة العلماء؛ لأنَّ قسُّوم يزول والجزائر باقية."[33]

الهوامش والإحالات:

---

1 من أهم كتابات الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسُّوم؛ خمسة مؤلفات، هي على التوالي: "1- مفهوم الزمن في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة الأصول والتأثيرات والمقارنات. 2- تأملات في معاناة الذَّات. 3- نزيف قلم جزائري. 4- مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، تأملات في المنطلق.. والمصبِّ. 5- فلسفة التاريخ من منظور إسلامي."

مأخوذ من الموقع الإلكتروني: www.veecos.net في تاريخ: 24 مارس 2014.

2 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

3 يوسف جمعة سلامة: "تكريم الإسلام للمرأة" جريدة البصائر، الجزائر، 14- 30 مارس 2014، العدد 697.

4 يوسف جمعة سلامة: "تكريم الإسلام للمرأة" جريدة البصائر، الجزائر، 14- 30 مارس 2014، العدد 697.

5 القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، سورة: القصص، الآية:23.

6 القرآن الكريم، سورة: القصص، الآية:27.

7 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

8 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية" العدد الأول، مأخوذ من الموقع: www.nurmajalla.com في تاريخ: 24 مارس 2014.

9 القرآن الكريم، سورة: النَّحل، الآية:97.

10 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

11 أبو الطَّيِّب أحمد بن الحسين المتنبِّي: ديوان المتنبِّي، ط15، دار صادر، بيروت، 1994، ص:484.

12 جبران خليل جبران: عرائس المروج، المكتبة العصريَّة للطِّباعة والنَّشر، بيروت، (د.ت) ص:30.

13 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

14 عبد الرزاق قسُّوم: "نفوس مريضة... شفاها الله...!" مأخوذ من الموقع: www.veecos.net في تاريخ: 24 مارس 2014.

15 القرآن الكريم، سورة: آل عمران، الآية:36.

16 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

17 عبد الرزاق قسُّوم: " موقف الإسلام من التُّراث العالميِّ" مأخوذ من الموقع: www.assala-dz.net في تاريخ: 24 مارس 2014.

18 أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشريّ: أساس البلاغة (قاموس عربيٍّ– عربيٍّ) دار الهدى، الجزائر، 1998، ص:350.

19 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

20 القرآن الكريم، سورة: لقمان، الآية:14.

21 أخرجه ابن ماجه.

22 من أجود الرسائل التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور: عبد الرزاق قسُّوم، رسالة بعنوان: (مكانة العقل في فلسفة الجاحظ)

يُنظر: عبد المجيد الجوزي: مكانة العقل في فلسفة الجاحظ، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عبد الرزاق قسوم، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص الغلاف، وما بعدها.

23 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

24 أخرجه أبو داود.

25 القرآن الكريم، سورة: الملك، الآية:14.

26 محمَّد علي الصَّابوني: صفوة التَّفاسير، مج1، قصر الكتاب وشركة الشِّهاب، البليدة والجزائر، 1990، ص:252-253.

27 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

28 مسعود فلوسي: "مؤلفات مولود اسم نايت بلقاسم- محاورها الفكرية وقيمتها العلمية" ضمن كتاب: الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم: المفكر الموسوعي والوطني الثائر، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2007، ص:153-167.

29 القرآن الكريم، سورة: الرُّوم، الآية:30.

30 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.

31 محمد مصطفى حابس: "رحيل المفكر جمال البنا الشقيق الأصغر لمؤسس جماعة (الإخوان المسلمين)" مأخوذ من الموقع: www.assala-dz.net في تاريخ: 24 مارس 2014.

32 زكي نجيب محمود: عربيٌّ بين ثقافتين، ط1، دار الشُّروق، القاهرة وبيروت، 1990، ص:53- 54.

33 عبد الرزاق قسُّوم: "حوار مع حمو أوجانه" مأخوذ من موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net في تاريخ: 17 فيفري 2014.